

كلمة تن د. محاضر بن محمد في المؤتمر الدولي الثاني حول إعداد المعلم في العالم الإسلامي والذي
نظّمته الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا /12 نوفمبر 2013

إعادة تصميم طرق التعليم: تربية تغييرية- تعليم قائم على مبادئ وقيم

الضيوف الكرام،

السيدات والسادة،

1. أود أن أعبر عن شكري لمنظمي هذا المؤتمر على تفضّلهم بدعوتي للحديث وإبداء رأيي في موضوع إعادة تصميم طرق التعليم ضمن إطار تربوي تغييرى قائم على المبادئ والأخلاق.

2. إن المعنى الأصيل للتعليم يتمثل في غرس ونقل المعرفة للنشء . وقد تم تصنيف المعارف والعلوم في عدد من المجالات والحقول والمواد، ويتعيّن على المعلمين أن يزودوا التلاميذ والطلاب بأكثر ما يمكن من تلك المعارف والمواد، وتلك المعارف كما نعتقد ستعينهم على ضمان فرصة للعيش الكريم.

3. بعد فترة من الوقت تبين لنا بأن مجالات معينة تحتاج إلى معارف مميّزة في حد ذاتها، ولذلك قمنا ببناء مؤسسات للتعليم العالي تضطلع بتوفير نوعية خاصة من العلوم تتناسب مع طبيعة العمل الذي يمارسونه بعد التخرّج. الذي حدث هو أنّ بعض هؤلاء المتخصصين في هذه المجالات نجح في دراسته نجاحا باهرا، وبعضهم لم يتمكن من بلوغ هذا المستوى، وبعضهم عجز حتى على إيجاد فرصة عمل.

4. إن كثيرا من أرباب العمل، فضلا عن اشتراطتهم لمواصفات علمية محددة فإنهم زيادة على ذلك يتوقعون في المتقدمين للوظائف المعروضة مواصفات وميّزات أخلاقية. والملاحظ أن نظام التعليم في مفهومه العصري لا يبدي كثيرا من الاهتمام تجاه تنمية جوانب الشخصية الإنسانية لدى المتعلّمين، ونتيجة لذلك، فإن غرس القيم الإيجابية يظل محدودا جدا. إننا نفترض بأن التلاميذ يعرفون تماما القيم الحميدة التي ينبغي عليهم التحلي بها.

5. من المآخذ المنهجية التي تلاحظ على كثير من المعلمين، تركيزهم على نقل المعارف الموجهة بهدف اجتياز الاختبارات بنجاح فحسب، وهذا الأسلوب يخالف واقع سوق العمل الذي يتزايد فيه حرص أرباب العمل على أن يتوفّر لدى المترشّحين نصيب كاف من الأخلاق والفضائل.

6. في العادة، يتوقع من الأولياء أن يربّوا أبناءهم على الفضائل التي تجعل منهم أفرادا صالحين يميّزون بين طيّب الأخلاق ورديئها. لكن يجب التوقّف أحيانا وعدم الانجرار وراء هذا الافتراض، فليس كل الأولياء يفعل ذلك أو يملك القدرة على فعله.

7. في عالم اليوم قد يكون كلا الأبوين مشغولا بعمله خارج البيت، ومن ثمة يحرم الأطفال من فرصة اكتساب قضاء أوقات ثمينة، وتفوت على الأبوين فرصة تعليم أولادهم القيم والفضائل المناسبة سواء عن طريق التلقين أو عن طريق ممارسة دور القدوة العملية.

8. إذا كنا نرغب ونبصدق في رؤية النشء الجذيد وهم يتحلّون بالقيم الإيجابية الجيّدة، فعلينا أن نسلم هذه المهمة لأهل البيداغوجيا أي للمعلّمين.

9. لا أعلم إن كانت التربية الأخلاقية والدينية التي نوّقرها لأبنائنا بماليزيا كافية، لكن الذي أعلمه بيقين هو أن هناك تدهورا مريعا في المستوى الأخلاقي لدى الناس هذه الأيام. لقد استشرى الفساد وأضحت حوادث اللصوصية والسرققة أمرا مألوفا، بل إن مستوى الجريمة ونوعيتها في تصاعد مخيف. نتيجة لهذا الوضع بدأت الأصوات تتعالى من أجل سنّ قوانين جديدة أشدّ ردها وتناسب مع مستويات ونوعيات الجرائم الحادثة.

10. الظاهر أن نظام التعليم عندنا قد فشل في تكوين ذلك النوع من النشء الذي يحرص على احترام القانون، ويملك اتجاهات إيجابية تجاه العمل ويحمل الإحساس الكامل بالمسؤولية وقيم العمل الحقّة.

11. إذا وجّهنا أبصارنا لتقاء المجتمعات والأمم فسنجد أن بعضها قد خطا خطوات كبيرة، وبعضها يراوح مكانه، وبعضها قد فشل فشلا ذريعا، ووضعيات هذه الأمم تعكس مستوى الأفراد لديها والثقافة السائدة، ونظمها السائدة. إن الشعوب المتقدّمة يميّزون في الغالب الأعم باحترامهم للقانون، وتسليحهم بقيم العمل الإيجابية، كما أنّ ثقافتهم تحث على كل ما هو جميل وإيجابي في الطبيعة الإنسانية.

12. بالمقابل فإنّ الأفراد في المجتمعات الفاشلة ينظرون إلى القانون بسلبية، ولا يملكون في رصيدهم من قيم العمل إلا القليل.

13. لناخذ كوريا واليابان مثلاً! إنهما بلدان ينتميان إلى منطقة شرق آسيا، وقد دمّرتهما الحرب العالمية الثانية وما تلاها، غير أنّهما لم يتعافيا من آثار تلك الحروب فحسب، بل إنهما استطاعا وباقتدار شديد أن ينافسا الدول التي سبقتهما في مضمار النمو والتّقدّم، بما في ذلك الدول التي هزمتها من قبل.

14. هذه هي الملاحظة التي دفعتنا إلى تبني سياسة ((انظرُ شرقاً)) لما كنا بصدد اختيار أصلح نموذجاً لتنمية ماليزيا. وعندما وقع اختيارنا على كوريا واليابان، كان أهم حافز على ذلك الاختيار هو رغبتنا في اقتفاء آثارهما فيما يتعلّق بأخلاقيات العمل، ومنظومة القيم العامة. إننا نعتقد بأن هذين البلدين لا يحتكران ما لديهما من الأخلاقيات والقيم، بل يمكن للآخرين استخدامها والاستفادة منها متى رغبوا في ذلك.

15. لقد استوعب أغلب الماليزيين سياسة ((انظرُ شرقاً)) وتلقّوها بالقبول، وبينما نبدي استعداداً صادقاً لتبني القيم والأخلاق العالية لدى هذين المجتمعين الشرقيين، إلا إننا مع ذلك وللأسف الشديد لم نقم بإجراء دراسة علمية منظّمة واحدة على تلك القيم. من الطبيعي ألا تناسب جميع تلك القيم مجتمعنا، لذلك ينبغي علينا أن نميّز بين ما يناسبنا منها وما لا يناسبنا، وعندئذ ينبغي علينا العمل على غرس تلك القيم المختارة في نفوس أبنائنا.

16. على سبيل المثال، إذا نظرنا في الثقافة وأخلاق العمل ومنظومة القيم لدى الشعب الياباني فإننا سنلاحظ ما يميّز به هذا الشعب من التزام شديد وحرص كبير وإخلاص واضح تجاه العمل، بالإضافة إلى إحساسهم العميق بالذنب عند الفشل في أداء المهام الموكلة.

17. مما يشمله مفهوم الالتزام هي القدرة على كبح جماح النفس وذلك ما يجعل الفرد قادراً على تغليب العمل المناسب والصائب على المصالح الذاتية العاجلة، وهذا يعني الاجتهاد في العمل والإخلاص فيه، وتقديم ذلك كله على رغبات وحاجيات الفرد للراحة أو غيرها من المنافع الخاصة. كما ينبغي ألا ينفك الوفاء للمجتمع والانتماء إليه عن الوفاء والانتماء للمؤسسة أو النشاط الذي يمارسه الفرد.

18. لدى اليابانيين إحساس شديد بالذنب، إلى درجة أن عددا منهم كان يقدم على الانتحار في حالة فشله في أداء مهامه. وعلى الرغم من أنهم لم يعودوا يمارسون هذه العادة في الغالب، إلا أنهم ما زالوا يحرصون على تجنب الوصول إلى ذلك الوضع النفسي، وطريقتهم في ذلك هي بذل أقصى ما يمكن من الجهد لتأمين النجاح المطلوب، وإنتاج أفضل السلع، والاجتهاد من أجل تحقيق الجودة في كل شيء.

19. على غرار اليابانيين فإن لدى الكوريين شعور عال بالاعتزاز يدفعهم وباستمرار إلى اكتساب المعارف والمهارات، والسعي للحاق بالأمم الأخرى، لذلك تجدهم شديدي الاعتزاز بمنتجاتهم، وبسعيهم الدؤوب لتجاوز منافسيهم في عملية التنمية الاقتصادية. واليوم غدت المنتجات الكورية قادرة على منافسة ما تنتجه الدول المتطورة، وأضحت كوريا بلدا مصنعا.

20. هذه أمثلة عامة على دور الثقافة ومنظومة القيم وأخلاقيات العمل في ضمان نجاح هذين البلدين، غير أنه ينبغي علينا إن كنا نعتقد وبصدق في جدوى هذه الثقافة والمنظومة أن ندرس وبعمق وتبصر، وعلى الباحثين عندنا أن يخللوا تلك القيم، وينظروا في آثارها على الأفراد والأمم.

21. إذا كنا نعتقد بأن سياسة ((انظر شرقا)) قد تعود علينا بالفائدة والنفع فيجب علينا أن نكون أكثر انضباطا وتنظيما في تبني وتسويق هذا النموذج وما يحمله من قيم وثقافات. والواقع أننا لم نصل إلى هذا المستوى بعد، ولم يتحوّل هذا النموذج إلى جزء من برامج إعداد معلّميننا. والحق أنه يجب علينا أن نسارع إلى تنفيذ ذلك إن كنا نأمل أن يتحمّل معلّمونا مسؤولية نقل المعارف والخبرات المتعلقة بالقيم والأخلاق إلى أبنائنا. عند ذلك فقط سوف نتمكن من جني ثمار سياسة ((انظر شرقا)).

22. يجب أن تنصب الجهود المتعلقة بإعادة صياغة البيداغوجيا على بناء الشخصية والسلوك المناسب، وذلك بغرس القيم الإيجابية والأخلاق الحسنة وتبيين عيوب الأخلاق الرديئة، فجيل اليوم غير مستعد لقبول ما يلقن له فحسب، بل يحتاج إلى معرفة علل تصنيفنا لما هو جيّد وما هو قبيح.

23. وكما ذكرت سابقا فإن العملية تبدأ ببرامج تدريب المعلّمين، فهم في حاجة إلى هضم القيم المناسبة التي يقع على عاتقهم واجب غرسها في أذهان التلاميذ، والقيم الرديئة التي عليهم تجنبها. وهذا ينبغي توضيحه من خلال قصص من واقع الحياة لتكون أكثر فعالية في عملية بناء شخصية التلاميذ الذين يعلّمونهم.

24. بعد النجاح في تدريب المعلمين، فإن الخطوة اللاحقة لذلك تتمثل في تخصيص وقت كاف لتدريس الأخلاق والذين بالمدارس. أعلم أنّ القيم الأخلاقية والتربية الدينية يجري تدريسهما بالمدارس الماليزية، لكننا نحتاج إلى مراجعة محتويات تلك المناهج حتى نحقق أفضل النتائج، وفي هذا الإطار أود أو أشير إلى أننا قد نكون في حاجة إلى إعادة كتابة بعض من تلك المناهج.

25. إن التعليم كما ذكرت سابقا يعني في حقيقة الأمر إعداد الأطفال والتلاميذ لمواجهة تحديات وأعباء الحياة عند بلوغهم سن الرشد، لذلك يجب على السياسات التربوية أن تأخذ في عين الاعتبار واقع الحياة وحقائقها التي سيتعامل معها أولئك التلاميذ عندما يكبرون.

26. على الرغم من أنني أغامر فيما سأقوله بكونه مملا لكثرة ترديدي له، فإنني أؤكد مرة أخرى على أهمية اللغة الإنجليزية. إننا جميعا فخورون بلساننا، بلغتنا الوطنية، لكن الحقيقة التي لا مفر منها هي أنه بدون إلمام جيد باللغة الإنجليزية فإن العمل في بلد مصنّع لا يمكن أداؤه جيدا، ذلك أنّ الإنجليزية هي لغة الصناعة، فالكثير من المنتجات، وتعليمات عمليات التشغيل المعقدة كلها باللغة الإنجليزية. لا يمكن أن نتوقع من المعلمين أن يتعاملوا بنجاح وفعالية مع أشياء معقدة وبلغة لا يفهمونها. وطوال الوقت يجري إدخال أنواع جديدة من العمل وتقنيات ومنتجات جديدة، وأغلب هذه الأشياء تصل إلينا باللغة الإنجليزية، ونحن لا نملك القدرة على ترجمة جميع هذه الأشياء.

27. هل ينبغي عليّ أن أناشد مرة أخرى من أجل تدريس العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية؟ دعونا نكون واقعيين. المالوية ليست بعد لغة العلوم والرياضيات، وهاتان المادتان هما الآن المعرفة الأكثر أهمية التي يتوجب علينا الحصول عليها إذا أردنا إحراز تقدم والحقا بركب الدول المتقدمة.

28. إذا لم يكن لدينا مستوى جيد في اللغة الإنجليزية، لا سيما الإنجليزية العلمية والتقنية فلن نكون قادرين على مواكبة التقدم الذي يحدث في هذا المجال طوال الوقت. ولن نكون قادرين حتى على ضمان فرصة العمل، وإن معظم الخريجين العاطلين عن العمل هم ممن لا يتقنون اللغة الإنجليزية.

29. أنه سيكون أمرا محزنا للغاية إذا نحن درسنا بجد واجتهاد في المدرسة ولكن يتم رفضنا في سوق العمل بسبب ضعف أو عدم كفاية لغتنا الإنجليزية.

30. إننا بحاجة إلى أن نكون عمليين، وإنّ قوميّ اللغة الذي يعتقد أن القومية تتمثّل في كونه قادراً على التحدث باللغة الوطنية جيداً وحسب هو مخطئ في هذا الفهم، فالقومية الحقيقية هي أن تكون ناجحاً في جميع ميادين الحياة، أن تسهم وبنصيب وافر في تطوير وتنمية بلدك وجنسك، أن تنتزع احترام واعجاب الآخرين، أن تكون قائداً في كل مجال تخوضه، وأن تكون مرفوع الهامة، هذه هي القومية الصحيحة.

31. إذا كنا نرغب في إعادة تصميم طرق التعليم عندهنا فيجب علينا تعزيز القيم الحميدة كقاعدة لتطوير التربية، ويجب أن يكون لدينا إمام جيد بلغة العلم اليوم، اللغة الإنجليزية.

شكراً لكم.